## المحاضرة الرابعة: الأدب الاسباني

**تقديم:**

قدم الأدب الاسباني منذ نشأته في العصور الوسطى صورا عن الحياة الاجتماعية والسياسية والثورية، عن طريق نقله صورا لأهوال الحروب الأهلية والعنصر الديني والتعليمي والتربوي في العديد من الأشكال الأدبية التي تطورت لتشمل النثر والشعر والمسرح. وقد كان ممثلا للآداب الثرية نتيجة تواجده ضمن منطقة جغرافية استراتيجية عالمية كانت محط أنظار العديد من الدول العظمى والعديد من المميزات جعلت منه أدبا فريدا عن غيره من الآداب (1). وقد كان التمازج التاريخي بين أوروبا والمشرق العربي وشمال إفريقيا قد أعطى الكتاب الاسبان فرصة المزج بين " الفردية القوية والانفتاح نحو تراث أوروبا الغربية والآداب الشرقية من خلال شمالي إفريقيا، ونتيجة لذلك أنتجوا أدبا تميزه الأصالة والواقعية" (2)

**مفهوم الأدب الاسباني:**

وهو كافة الأعمال الأدبية المنتجة في إسبانيا والتي انقسمت إلى ثلاثة أقسام هي: القشتالية، والكاتالونية والجاليكية.
والأول يشير إلى كافة الأعمال الأدبية المنتجة في فترة الفتح الإسلامي وتميزت بلغتها الرومانسية والشعبية، وهي التي يتكلمونها في المنطقة الوسطى من البلاد وقد فرضت نفسها بفضل سيطرة كاستيليا في القرنين الثالث عشر والرابع عشر ، وأصبحت هي اللغة الرسمية المكرسة في الأدب، والثانية هي الكتالونية وهي المنتجة في ق 14م في اسبانيا، تميزت باستخدام اللهجة الفرنسية القديمة وانبثقت عنها المدرسة الشعرية التي استخدمت القافية والوزن، أما الثالثة فهي الجاليكية وتشير إلى الأدب المكتوب باللغة البرتغالية والتي استخدمت في القرون الوسطى بشكل خاص. ويمكن القول إنه وبالرغم من تعاقب الغزو على اسبانيا وتنوعه، لم يستطع أن يفرض لغته على أهلها، وهي بذلك شبيهة بالفرس التي لبثت لغتها قائمة في وجه الفاتحين، وإن داخلتها العديد من المفردات ذات الأصل العربي نتيجة سبعة قرون من التواجد العربي والإسلامي.

**الأدب الاسباني في ق19م**

يشير العصر الرومانسي في الأدب الاسباني إلى فترة القرن 19 م والذي نشأت فيه الرومانسية كرد فعل على العقلانية المنتشرة في الحقبة السابقة وأهم الأدباء في هذه المرحلة اسبرنيسيدا وبيكير.

كما ظهر في هذا العصر اتجاه آخر هو الواقعية والطبيعية وأشهر ما كتب في هذا الاتجاه كتاب الحلقات الوطنية للكاتب جاليدوس والذي تناول تاريخ ما يقارب 100 عام من الحروب في اسبانيا ويعد كلارين أهم ممثل للمدرسة الطبيعية.

كما تميز أدب هذه الفترة بالانفتاح والتعدد والشغف الكتابي والتعبير عن المكنونات العاطفية والغرائز، وطغت قيمة الخيال على العقل والواقع، كما ظهر عنصر الحيادية اعتقادا بأن الحياد سبب في الوصول على الحقيقة.

---

1. الأدب الاسباني المفهوم والتاريخ والخصائص وأشهر الأدباء، ألاء فارس من موقع مشربية بتاريخ 18. 08. 2022، بتوقيت :13:08:59، http://mshrabya.com/type/blog/112

2. حمزة حمادة، محاضرات في مقياس الآداب الأوروبية سنة أولى ماستر، جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي، سنة 2022/2020

أما في عصر ما بعد الحروب الأهلية والعصر الحديث فقد تميز الأدب الإسباني بقوة الصور والموسيقى والصوت خاصة في اللون الشعري، وتميزت الأعمال الأخرى ببحثها عن الذات والجوهر الإنساني، وقد ظهرت موضوعات عدة أهمها البحث عن الخلود عند الموت واستخدام الواقع الحالي ونقد الانتقادات الموجهة ضد التزييف الاجتماعي والسياسي والإنسانية والكرامة والحب.

## 1. الرواية الاسبانية مع سرفانتس:

انتشرت رواية الكدية في بقية أنحاء أوروبا وكتب فيها كتاب فرنسيون وألمان وانجليز أمثال سكارون ولوساج وفيلدينغ... وغيرهم. لكن اسبانيا تظل متميزة لأنها شهدت ولادة الفن وهي وطن أفضل كاتب على الاطلاق وهو بيغل دي سارفانتس.

ولد ميغيل سيرفانتس دي سافيدرا، وهو الابن الرابع لطبيب أسنان فقير الحال، ومن النبلاء في السابع عشر من أكتوبر من عام 1547 بقلعة هيناريس، بقشتالة الجديدة، انتقل للعيش في مدريد مع أسرته وعمل بها سنة 1655 كمعيد بإحدى الثانويات، وهناك بدا بكتابة الشعر لكنه تعرض للنبذ والملاحقة بعد حادثة اشهار سيفه في القصر الملكي ، ليهاجر مع كاردينال إيطالي إلى روما عاش سرفانتس حياة التشرد على الصعيد الشخصي ومارس كثيرا من المهن فاكتسب من هذا المصير المتنوع حكمة تفيض مرارة وفكاهة، وكان أول ما نشره سرفانتس: هو قطعة رثاء للملكة إليزابيث ، نشرها معلمه في مجموعة أسماها (الوصف الدقيق لمرض صاحبة الجلالة ملكة إسباني دونيا إيزابيلا.. ولوفاتها المباركة، وقصة دفنها الرائعة) وكذلك فإن روايته (رينوكونتي وكورتاديلو ) Rinconete Y Cortadillo ورواية (حوار الكلاب) coloquio de los perros وكلتاهما من مجموعة الروايات النموذجية عام 1613م، تصفان أوساط العصابات في اشبيلية بقوانينها وعاداتها وأخلاقها، بل بلغتها العامية وذلك بأسلوب حي متوهج هو أسلوب سرفانتس نفسه في روايته دون كي خوته(كيشوت) دي لامانشا، وقد عاش سرفانتس في القرن 16م وهو العصر الذهبي بالنسبة للأدب الاسباني.

دون كيشوت هو فارس يقاتل طواحين الهواء، ما لبث أن أصبح نمطا أدبيا عالميا وصورة لمأساوية المصير الإنساني في عالم متغير أبدا، وتوثيقا لأخلاق الفروسية الاسبانية وعاداتها حين فقدت هذه الأخلاق والعادات مسوغاتها في زمن التحول إلى مفهوم الدولة والسلطة الواحدة. وقد كانت دائما محط دراسات في ضوء تيارات الفكر الأوروبي.

تجلت النهضة الأدبية الاسبانية في سرفانتس، وقد شهدت اسبانيا كما شهدت إيطاليا وفرنسا وانجلترا، اتجاها عاما نحو الشعور القومي والاحساس بالوطن، وتعد روايته أفضل ما انتجه عصر النهضة في أوروبا.

شارك سرفانتس في عدة حروب، منها الحرب التي نشأت بين اسبانيا وتركيا، حيث أسرع سرفانتس إلى صفوف المحاربين، لكنه لم يلبث أن فقد ذراعه اليسرى في معركة (لبانتو) التي انتصر فيها الأسطول الاسباني على الأتراك، فاراد سيرفانتس أن يعود إلى بلاده وطلب إلى قادته أن يزودوه بخطابات التوصية للملك (فيليب الثاني)، وظفر بما أراد، ورحل من نابلي على ظهر سفينته، إلى اسبانيا، لكن السفينة سقطت في أيدي القراصنة الجزائريين قرب شاطئ الريفيبرا الفرنسية، وكان من سوء طالعه أن وجد القراصنة خطابات التوصية التي كانت معه فاعتقدوا أنه رجل ذو مكانة فطلبوا من أسرته مبلغا كبيرا لفديته فلم تستطع العائلة توفير المال، وبقي سرفانتس أسيرا عندهم خمس سنوات، ولأنهم اعتقدوا رفعة مكانته لم يكلفوه بالأعمال الشاقة كما كلفوا بها غيره.
حاول سرفانتس الهرب عدة مرات وفشل إلى غاية افتدائه فأعيد إلى مدريد واشتغل في تقديم المؤن للأسطول الاسباني، وعكف في الوقت نفسه على كتابة مسرحياته، وأودع بعدها السجن بتهمة السرقة، وفي سنة 1595م اشترك في مسابقة للشعر وفاز بالمرتبة

الأولى، لكنه سجن مرة ثانية لاتهامه بالسرقة لأن صديقا له كان قد ائتمنه على أموال الحكومة لكنه سرقها واختفى، وفي السجن عكف سرفانتس على كتابة روايته (دون كيخوت) وأصدر الجزء الأول منها سنة 1605، وعنوانها الأصلي هو (الفارس الحاذق دون كيخوته اللامنشي) (1).

تدور احداث الرواية أن البطل وهو كويخادو كان يعيش في قرية من قرى لامانشا في شمال إسبانيا وحيدا مع ابنة أخت له وخادمه وحصانه وكان في الخمسين من عمره حين قرر متأثرا بمطالعته لروايات الفروسية أن يحي تلك التقاليد، وأن يجعل من نفسه فارسا يجوب الأقطار من أجل المغامرة وتصحيح الأخطاء في العالم ونجدة الملهوف ومساعدة الضعفاء والمقهورين، وكان قد ارتدى لذلك عدة حربية متآكلة وتابعه كان يركب بغلا، وهي الصورة التي جعلت الرواية هزلية ومضحكة.

وقد كتب سرفانتس الجزء الثاني من روايته بعد خمسة عشر عاما من كتابة الجزء الأول ويواصل فيها دون كيشوت حماقاته ، لكن مساعده سانكوبانسا يحاول توعيته ببعض الحقائق ، وما ميز الجزء الثاني هو ان الناس غيروا نظرتهم لهذا الفارس وأصبح محط سخرية وضحك وتتواصل مغامراته إلى حين يقرر دوق عظيم أن يحقق لي دون كيشوت ما يحلم به ورفيقه، فيقيم وليمة يستقبلهما فيها ويتوج صديقه حاكما لإحدى القرى الفقيرة التي سرعان ما يعزل منها، وفي نهاية القصة يتطوع أحد الفرسان في القرية (باتشلر) ويوقظ دون كيشوت من وهمه بمبارزة حقيقية يصاب فيها دون كيشوت ويعود إلى منزله وهو يشعر بدنو أجله ويقرر التوقف عن قراءة أدب الفروسية.

ويمكن القول إن النهاية في هذه الرواية هي انتقاد وذم أدب الفروسية، بل فيها سخرية من نظام الفرسان وأدب الفرسان الذي انتهى عهده، فالحياة دوما تقدم الجديد. وقد لاقى هذا الجزء اهتماما ورواجا كبيرا كالجزء الأول. وعدت هذه الرواية بداية الأدب الاسباني الجديد، بل أن جميع الكتاب الاسبان سارو على تقاليد سرفانتس، واعتبرت روايته بداية الواقعية الأوروبية بمفهومها الحديث، لأنها استطاعت أن تتحدث بصدق عن حياة شعب بأكمله خلال مرحلة تاريخية كاملة، وأن تكشف عن أهم العوامل الاجتماعية التي تحرك العصر.

## 2 الشعر الاسباني مع الشاعر لوركا:

ولد الشاعر لوركا أواخر القرن 19م في يوم 5 يونيو 1898م أثناء الحرب الأمريكية الاسبانية( أعلنت اسبانيا الحرب على أمريكا في 24 من أبريل وردت أمريكا يوم 25 من أبريل ، وتزامن ذلك أيضا مع بروز الحركة الواقعية في أوروبا التي اقترنت بالاكتشافات العلمية والطبيعية الحديثة، وكانت نتيجتها ظهور المذهب الرومانسي في اسبانيا .وكان الحال كذلك مع أدباء جيل 98 في اسبانيا، إذ انعكست فيهم روح من المثالية والرومانسية إزاء ما حل بوطنهم من نكسة كبيرة وامتزجت تلك الروح بعوامل رومانسية بارزة مثل الكآبة والنزعة الشخصية الحادة.

كان أفراد الجماعة يؤمنون بالعودة إلى الأسلوب اللغوي البسيط المجرد من الزخارف اللفظية والمحسنات البديعية، وحاولوا جهدهم البعد عن واقعية القرن 19م التي تغرق في الوصف المفصل للواقع الخارجي وتقدمه بصورته التي هو عليها وتمثلوا منهجا تعبيريا

1. نقلا عن عماد حاتم، مدخل إلى تاريخ الآداب الأروبية، ص 150

يقدمون به الانعكاسات الشعورية والانفعالية التي تثيرها الأشياء في نفس الكاتب.

نشأ لوركا في ظل هذه الحركة الأدبية والفكرية التي سيطرت على أذهان المثقفين عاش حياة ميسورة (غنية) في قريته، وكان والده فلاحا وأمه اتسمت بطابعها الهادئ المتزن، كانت مدرسة ومعلمة للموسيقى، قال عنها لوركا " لقد ورثت حدة العاطفة عن والدي، والذكاء عن والدتي"، أصيب في صباه بالحمى جعلته ضعيفا.

استفاد لوركا من حياته بين أحضان الطبيعة التي كان يتلقاها من مربيته وأقاربه ومنها حياة الغجر، ومسرح العرائس (الأرجوزة)، والحرس المدني وحياة النساء في الريف (1)، وقد أبدع الشاعر في تصوير جو الحرس المدني الاسباني في عدة قصائد مشهورة معظمها في ديوانه (حكايا الغجر) ومنها قصيدة بعنوان: حكاية الحرس المدني، يقول فيها:

الجياد سوداء
وسود حدواتها
وعلى العباءات
تلمع بقع من حبر وشمع
جماجمهم من رصاص
لهذا لا يبكون
ويخبون في طريقهم
بأرواحهم الجلدية البراقة
محنيو الظهور، مستترون بالليل
وحيثما يحلون
يفرضون صمت المطاط الأسود
وخوف الرمال الناعمة
يمرون حينما يبغون المرور
ويخفون في رؤوسهم
فلكا غامضا
من مسدسات لا هوية لها

إن ما فعله لوركا مرارا وتكرارا في اعماله الفنية، هو أنه تناول القصص والنوادر التي قصها عليه معارفه في طفولته، ليصيغ منها بعد ذلك حبكات مسرحياته، كما عمد إلى إدخال اللغة البديعية التي اعتاد سماعها في القرى التي عاش فيها بين ثنايا لغته الشعرية (2)

---

1. م ن، ص 18.

2 . لوركا شاعر الأندلس، ماهر البطوطي، مؤسسة الهنداوي، نسخة الكترونية، 2022، ص 16